بَابُ العُشّاق
سوى عُشّاق الشعراء

□ ألا ما للحبيبة لا تعود !! :

محمد بن قيس الأسدى[1] قال : وجّهَنى عاملُ المدينة إلى يزيد بن عبد الملك وهو خليفة فخرجت ، فلما قربت المدينة بليلتين أو ثلاث وإذا أنا بامرأة قاعدة على قارعة الطريق ، وإذا رجل رأسُه فى حِجْرِها كلما سقط رأسُه أسْنَدَتْه فسَلّمت ؛ فردّت ، ولم يَرُدّ الشابّ ؛ ثم تأمّلَتْنِى فقالت :

يا فتىً ، هل لك فى أجر لا مَرْزِئَةَ فيه ؟!

قلت : سبحان الله ! وما أُحَبّ الأجرَ إلىّ وإن رُزِئتُ فيه !

فقالت : هذا ابنى ، وكان إلْفًا[2] لابنة عَمٍّ له تربيا جميعاً ، ثم حُجِبَتْ عنه ، فكان يأتى الموضعَ والخِباء ، ثم خطبها إلى أبيها فأبى عليه أن يُزَوجَها ؛ ونحن نرى عيبًا أن تُزَوّجَ المرأةُ من رَجُلٍ كان بها مُغْرَمًا ، وقد خطبها ابنُ عَمٍّ لها ، وقد زُوِّجَتْ مُنْذُ ثلاثٍ ، فهو على ما ترى لا يأكل ولا يشرب ولا يعقل ، فلو نزلت إليه فوعظتَه !

فنزلت إليه فوعظتُه ، فأقبل علىّ وقال :

ألا مـا لِلْحَبيبـةِ لا تَعُـودُ ... أُبَخَّلُ بالحبيبـةِ أم صُدودُ ؟!
مرضتُ فعادنى قومى جميعًـا ... فمالَكِ لم تُرَىْ فيمنْ يَعُود ؟!
فقدتُ حبيبتى فَبليتُ[3] وجـدًا ... وفقدُ الإلْفِ يا سكنى شديدُ !
وما استبطأتُ غيرَك فاعلميـه ... وحولى من بنى عَمِّى عَدِيدُ
فلو كُنتِ السّقيمةَ جئتُ أَسْعَى ... إليك ولم يُنَهْنِهْنِـى[4] الوعيـدُ

قال : ثم سكن عند آخر كلمته .

فقالت العجوز : فاضت والله نفسه ثلاثًا !

---

(١) وردت هذه القصة فى نهاية الأرب ج ٢ رواية عن الأصمعى مسندة إلى رجل من بنى تميم خرج ينشد ضالة له حتى وصل إلى أرض بنى عذرة . ولكنه ساق القصة فى إطناب وإسهاب عما هنا !

(٢) إلْفًا : أليفًا ومُحِبًّا .

(٣) بَلِىَ : فنى وذهب جسمه من الوجد .

(٤) لم يُنَهنِهْنى : لم يَكُفّنى عنه ولم يزجرنى .

فدخلنى أمر ، لا يعلمُه إلا الله ، فاغتمَمْتُ وخِفْتُ موتَه لكلامى . فلما رأتِ العجوزُ ما بى قالت : هَوّن عليك ! مات بأجَلِهِ ، واستراح مما كان فيه ، وقدِمَ على ربٍّ كريم ؛ فهل لك فى استكمال الأجر ؟ هذه أبياتى منك غير بعيدة ، تأتيهم فتَتْعَاهُ إليهم وتسألُهم حضورَهم ؛ فركبت فأتيتُ أبياتًا منها على قدرِ مِيلٍ ، فنَعَيْتُه إليهم ، وقد حفظت الشعر ، فجعل الرجل يَسْتَرجع[٥]، فبينا أنا أدورُ إذا امرأةٌ قد خرجت من خبائها تجرّ رِدَاءَها ناشرةً شعرَها فقالت : أيها الناعى بفيك الكِثْكِث[٦]، بفيك الحجر ! مَنْ تَنْعَى ؟!

قلت : فلانَ بن فلان . فقالت : بالذى أرسل محمدًا واصطفاه ، هل مات ؟ قلت : نعم . قالت : فما الذى قال قبل موته ؟

فأنشدتُها الشعر ، فوالله ما تَنَهْنَهَتْ[٧] أن قالت :

عَدَانى أن أزورَك يا حبيبى ... معاشِرُ كلُّهُمْ واشٍ حَسُودُ[٨]
أشاعوا ما سمعتَ مِن الدواهى ... وعابونا وما فيهم رشيدُ
وأما إذْ ثويْتَ اليومَ لَحْدًا ... فدور الناسِ كلّهمُ لُحُودُ
فلا طابت لى الدُّنيا فُوَاقًا[٩] ... ولا لَهُمُ ولا أثرى العبيدُ

ثم مَضَتْ مَعِى ومَعَ القَوْم تُوَلْوِل حتى انتهينا إليه ، فغسّلناه وكفّنّاه وصلينا عليه ، فأكبّت على قبره ، وخَرَجْتُ لِطِيّتى حتى أتيت يزيدَ بن عبد الملك ، وأوصلت إليه الكتاب ، فسألنى عن أمور الناس ، قال : هل رأيتَ فى طريقكِ شيئاً ؟ قلت : نعم ، رأيتُ والله عجبًا !! وحدثتُه الحديث ، فاستوى جالسًا ، ثم قال :

لِلّهِ أنت يا محمد بن قيس ! امضِ الساعة قبل أن تعرفَ جواب ما قدمتَ له ، حتى تمرّ بأهل الفتى وبنى عمه ، وتمر بهم إلى عامل المدينة ، وتأمره أن يُثْبتهم فى شرف العطاء ، وإن كان أصابها ما أصابَهُ فافعل ببنى عمها ما فعلت ببنى عمه ، ثم ارجع إلىّ حتى تخبرنى بالخبر ، وتأخذ جواب ما قَدِمتَ له .

فمَرْرت بموضع القبر ، فرأيت إلى جانبه قبرًا آخر ، فسألت عنه فقيل :

---

(٥) يسترجع : يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) الكَثْكَث : دقاقُ التراب ، وفُتَاةُ الحجارة ، وقيل : هما معا . وهو مفتوح الكافين أو مكسورهما . ويقال : فى الدعاء عليه .

(٧) ما تنهنهت : أى ما امتنعت وما انكفّت . (٨) عدانى : منعنى وصرفنى .

(٩) فُواقًا : قدر ما بين الحلبتين ، والمراد : زمنًا قليلاً . أى لم تطب لها الدنيا مقدار هذه الفترة !

قبر المرأة ، أكبّت على قبره ، ولم تذق طعامًا ولا شرابًا ، ولم ترفع عنه إلى ثلاثة أيام إلا ميتة ، فجمعتُ بنى عمها وبنى عمه وأثبتُّهم فى شرف العطاء جميعًا !

□ أعْتَقَا وخرَّا ميّتَيْن ! :

عن هاشم بن حَسّان عن رجل من بنى تميم قال :

خرجت فى طلب ناقة لى ، حتى وردْت على ماء من مياه طيّىء ، فإذا أنا بعسكرين[١٠] بينهما دعوة[١١]، فإذا أنا بفتًى شابٍّ وجارية فى العسكرَ ، وإذا هو قد سمع نبرَةً من كلامها وهو مريض ، فرفع عقيرته[١٢] وقال :

ألا ما لِلْمَلِيحةِ لا تَعُودُ أبُخْلٌ بالمليحةِ أم صُدُودُ ؟!
فلو كنتِ المريضةَ كنتُ أسْعى إليك ولم يُنَهْنِهْنى الوعيدُ

فَسَمِعَتْ صوتَه فخرجت تعدو ، فأمسكها النساء ، وأبصرها فأقبل يُنْشِد ، فأمْسَكَه الرجال ، فأفْلَتَ وأفْلَتَتْ وخَرّاميّتين !، فخرج شيخ من تلك الأخبية حتى وقف عليهما ، فاسترجع لهما ، ثم قال : أما والله لئن كنتُما لم تجتمعا حَيَّين لأجْمَعَنّ بينكما مَيّتين .

قال : فقلتُ من هذا ؟ قال : هذا ابن أخى ، وهذه ابنتى ، فدفنهما

□ قصة عبد الله بن عجلان صاحب هند :

عن ابن سيرين قال : قال عبد الله بن عجلان صاحب[١٣] هند التى عشقها وكانت تحبه فطلقها :

ألا إنّ هِنْدًا أصْبَحَتْ لَكَ مَحْرمًا وأصبحتَ من أدنى حُمُوّتها حَمَا
وأصبحتَ كالمقْمُورِ[١٤] جَفْن سِلاحِه يُقَلِّبُ بالكفّيْن قوسًا وأسْهُمَا

ومَدّ بها صوتَه ثم مات .

---

(١٠) عسكرين : جماعتين .

(١١) بينهما دعوة : أى مقدار ما يكون بين الرجلين إذا دعا أحدهما الآخر سمعه . يقال : هو منى دعوة الرجل ؛ أى قدر ما بينى وبينه ذاك . والمراد أنهما متقاربان .

(١٢) المراد : الصوت .

(١٣) هى هند بنت كعب تتصل مع عبد الله بن عجلان فى النسب .

(١٤) المقمور : المغلوب فى القمار . والمراد : أصبح نادماً حائراً لا يدرى ماذا يفعل .

قال الأصمعى : فيه قال الشاعر :

إن مُتُّ مـــــــن الحبِّ فقـد مـات ابـنُ عَجْـلانِ

□ قلوب تذوب حُبًّا ! :

قيل لأعرابى من العذريين : ما بالُ قلوبكم كأنها قلوب طيرٍ تَنْماث[١٥] كما يناثُ المِلْح فى الماء ! أمَا تَجَلَّدُون[١٦]؟!

فقال : إننا ننظر إلى محاجرَ[١٧] أعينٍ لا تنظرون إليها !

□ عُذْرِىٌّ وربِّ الكعبة ! :

وقيل لأعرابى : مِمّن أنت ؟ فقال : من قوم إذا أحبوا ماتوا ، فقالت جارية سَمِعَتْه : عُذْرِىٌّ وربِّ الكعبة !

□ فقيد ثقيف ! :

عن عبد الملك بن عمير قال : كان أخوان من بنى كنّة[١٨] من ثقيف : أحدهما ذو أهل[١٩]، والآخر عَزَبٌ ، وكان ذو الأهل إذا غاب خَلَفَهُ العَزَبُ[٢٠] فى أهله ؛ فغاب غَيبَةً له ، فجاء العَزَبُ يومًا ، فَطَلَعَتْ عليه امرأة الأخ ، وهى لا تعلم بمكانه ، وعليها درْع[٢١] يَشِفّ ، فسترت وجْهَهَا بذراعيها ، فوقعت فى قلبه ، وجعل يذوبُ كأنه خيط ؛ فقدم أخوه فقال : يا أخى ؛ مالك ؟ قال : لا أدرى ، واستحيا أن يذكر مابه ؛ فانطلق أخوه إلى الحارث بن كَلَدَةَ طبيبِ العرب ، فوصفه له ، فقال : آحمِلْه إلىّ ؛ فلما نظر إليه قال :

أما العينان فصَحيحتان ، وأما الجسمُ فذائب ، ولا أظنُّك إلا عاشقًا !

قال : ترى أخى بالموت ، وتزعم أنه عاشق ! قال :

هو ما أقول لك ، فآسقه الشراب ؛ فسقاه ، فقال الشعر و لم يكن الشعرُ

---

(١٥) تنماث : تذوب . (١٦) أين الجَلَد والصبر والتحمل ؟!

(١٧) محاجر الأعين : جمع محجِر (بكسر الجيم) كل ما أحاط بالعين .

(١٨) بنو كُنّة : قبيلة من العرب نسبوا إلى أمهم وفتح الكاف الجوهرى وضمها ابن دريد .

(١٩) ذو أهل : صاحب زوجة .

(٢٠) تولى القيام بأمرهم وناب عنه .

(٢١) الدرع : قميص المرأة .

من شأنه فقال

أَلِمَّـــا بى إلى الأُبَيَـــا تِ بالخَيْـــفِ أُزْهُنَـــةْ
غـــزالٌ مـــا رأيتُ اليـــو مَ فى دُورِ بنـــى كَنَّـــةْ
غـــزالٌ أكحَـــلُ العَيْـــن وفى مَنْطِقِـــه غُنَّـــةْ

فقال أخوه : والله ما أراه إلا كما قال ، ولكن لا أدرى مَنْ عَنَى ؛ فسقاه شربةً أخرى فقال :

أيُّهـــا الحَـــىُّ اسْلَمُـــوا اسلَمُـــوا ثُـــمَّ آسْلَمُـــوا
لا تُوَلُّـــوا وتُعْـــرِضوا وآربَعُـــوا[٢٢] كَـــىْ تُكَلَّمُـــوا
خـــرجَتْ مُزْنـــةٌ مـــن الســـ ـــحْـــرِ رَيَّـــا تُحَمجِـــمُ[٢٣]
هـــى مـــا كَنَّتِـــى وئَـــزْ عُـــمُ أنَّـــى لَهَـــا حَـــمُ[٢٤]

قال : يا أخى هى طالق ثلاثًا ، فإن شئت فتزوجْها ؛ قال : وهى طالق إن تزوجتُها .

قال غيرُه : فما أفاق ذهب على وجهه حياءً ولم يرجع ، فهو فقيدُ ثقيف .

□ القَسّ وسَلاّمَة :

قال خلاّدٌ الأرقط : سمعت مشايخَنا من أهل مكة يذكرون أن « القَسّ » وهو مولًى لبنى مخزوم[٢٥]، كان عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح ، وأنه مَرّ يومًا بسلاّمة[٢٦] وهى تغنى ، فوقف يسمع ؛ فرآه مولاه فدنا منه فقال : هل لك فى أن تدخُل وتستمع ؟ فأبى ، ولم يزل به فقال : أُقعدك فى موضع لا تراها ولا تراك ، ففعل ، ثم غنت فأعجبته ، فقال :

هل لك فى أن أُحَوِّلَها إليك ؟ فتأبَّى ثم أجاب ، فلم يزل به حتى شُغِف

---

(٢٢) اربعوا : قفوا وانتظروا . وربع بالمكان : اطمأن وأقام .

(٢٣) الرّيّا : الريح الطيبة ، وتحمحم : ذات صوت دون العالى . والمزنة : المطرة ، وابن مزنة الهلال يخرج من خلال السحاب . يقال : طلع ابن مزنة .

(٢٤) الكَنّة : امرأة الابن أو الأخ .

(٢٥) هو عبد الرحمن بن أبى عمار ، وكان فقيهًا عابدًا من عباد مكة . وجاء فى الأغانى أنه كان يسمى « القَسّ » لعبادته .

(٢٦) قينة من قيان أهل المدينة ، وكانت حاذقة ظريفة تقول الشعر وتحسن الغناء . ونسبت إلى عبد الرحمن القس فقيل : سَلاّمة القَسّ .

بها ، وشُغِفَت به ، وعلم ذلك أهل مكة ؛ فقالت له يومًا وقد خَلَوَا : أنا والله أُحِبُّكَ ، فقال : وأنا والله أُحِبُّكِ . قالت : فأنا أُحِبّ أن أضعَ فمى على فَمِكَ ، قال : وأنا والله .

قالت : وأنا والله أحب أن أضع صَدْرِى على صَدْرِكَ ؛ قال : وأنا والله !!

قالت : فما يمنعكَ ؟! والله إن الموضعَ لخالٍ !!

فأطرق ساعةً ثم قال : إنى سمعت الله يقول :

﴿ الأخلاّءُ يومئذٍ بعضُهم لبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧]

وأنا – والله أكره أن تكون خُلّةُ ما بينى وبينك عداوةً يوم القيامة ، ونهض وعاد إلى طريقته التى كان عليها . وفيه قيل :

لقد فَتَنَتْ رَيًّا وسلاّمةُ القَسَّا ولم تَتْرُكا للقَسِّ عَقْلاً ولا نَفْسَا

□ نماذج من شعره فيها :

● ومن شعره فيها :

أهابُكِ أن أقولَ : بذلتُ نفسى ولو أنّى أطيعُ القلبَ قَالاَ
حياءً منكِ حتى شَفَّ جسْمى[٢٧] وشقَّ علىَّ كتمانى وطالا !

● وهو القائل :

قد كنتُ أعْذِلُ فى السفاهةِ أهلَها فأعجب لما تأتى به الأيامُ
فاليوم أرْحَمُهم وأعلَمُ أنّما سُبُل الغَوَايةِ والهُدَى أقسام

● وهو القائل :

ألَمْ تَرَها – لا يُبْعِدُ اللهُ دارها – إذا مَرِحَتْ فى صوتها كيف تصنَعُ
تمد نظامَ القولِ ثم تَرُدّه إلى صَلْصَلٍ فى حَلْقِها فَتَرَجّعُ

□ رسائل بين مُنْيَة وقابوس ! :

كتبت مُنْيَةُ إلى قابوس :

من سَنّ فلْيَرْضَ بأن يُحْكَم عليه بها .

ومن سأَلَ مَسْأَلَةً فلْيَرْضَ من الْعَطيّة بقدر بَذْلِه .

لكل عملٍ ثوابٌ ، ولكل فعلٍ جزاء .

---

(٢٧) شف جسمى : نحل من الهم والوجد .

ومن بدأ بالظُّلْم كان أظلم .

ومن انتصر فقد أنصف .

والعَفْوُ أقربُ إلى العَقْل .

وغير مُسيءٍ من أعْتَب[٢٨].

وغيرُ مُذْنِبٍ من طَوّل[٢٩].

مع المخض تبدو الزُّبدة[٣٠].

عند تناهي البَلاء يكون الفَرَج[٣١].

كل ذي قَرْح يشتهي دواء قَرْحِه[٣٢].

كل مَطْمَعٍ مُنْتَظَر .

كل آتٍ قريب .

مع كل فرحةٍ تَرْحة[٣٣].

من خَبُثَ سِنْخُه غَلُظ كَبِدُه ، ونام حِقدُه[٣٤].

الموتَ أروحُ[٣٥] من الهوى .

اليأسُ أولُ سَبَبِ الراحة .

السِّحْرُ أنْفَذُ من الشِّعر .

دواءُ كُلِّ مُحِبٍّ حَبيبُه .

مع اليوم غدٌ .

كما تَدين تُدان .

استَشْفِ اللهَ لما بك . وآسأله المُدافعةَ عنك .

---

(٢٨) أعتب : يقال : أعتبه : أرضاه بعد العتاب . وفى المثل : « ما مُسيء من أعتب » .

(٢٩) طَوّل : أمْهَل .

(٣٠) لا يحصل الإنسان على المراد إلا بعد بذل الجهد ومحاولة الاستقصاء وذلك كالزبدة لا تستخلص من اللبن إلا بعد مخض اللبن وتحريكه تحريكًا شديدًا .

(٣١) وشبيه به : اشتدى أزمة تنفرجى ! وقول القائل :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

(٣٢) القَرح : (بفتح القاف وضمها) الجرح .

(٣٣) الترحة : الحزن وقلة الخير .

(٣٤) سنخه : أصله . ونام حقده : المراد أنه حقد دفين لا علاج له .

(٣٥) أى فيه راحة منه !

□ **فأجابها :**

من الكِرامِ تكون الرحمةُ ، ومن اللئام تكونُ القسوة .
من كَرُم أصْلُه لان قلبُه ورقّ وجهُه .
ومن عاقب بالذنوب ترك الفضل .
ومن ترك الفضلَ أخطأ الحظَّ .
ومن لم يَغْفِر لم يُغْفَرْ له .
ومن حَقَد واضطغن[٣٦] اكتسب الأعداء .
أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فحُرِمها .
لكل كَرْب فَرَج .
ولكلِ عَمَلٍ ثواب .
مَنْ أحَبّ رَقَّ لكلِّ مُحِبّ .
لا داءَ أدوى من الهوى ، ولا أوهَنَ منه لِذِى القُوَى .
لا مَلَكَةَ أكرِمُ مِنْ مَلَكَةِ كريم ، ولا قُدرةَ ألأم من قدرة لئيم .
مَلَكتِ فأسْجِحِي[٣٧]: (قدرت فاعفى) .
ويل للشّجِيّ من الخَلِيّ[٣٨].
من كان فى نعمة لم يدْرِ قدْرَ البلية .
من سَها عقلُه فسَدَ عيشُه ، ومن فَسَدَ عيشُه كان الموتُ راحته .
الآمال مبسوطة ، والآجال معدودة .
والمتَوقَّعُ الموت .
وحَسْرَة الموت من مات بغُصّة .
خيْرُ الخيرِ أعجَلُه .
من أراد معروفًا فلا يتطَوّل[٣٩].
الحُبّ أثقلُ محمول .

□ **وكتب إليها :**

قلّ من حبيب ،كتاب !، وعَظُم من مُحِبٍّ مُصَاب !

---

(٣٦) امتلأ قلبه ضغينة وكراهية .
(٣٧) الإسجاح : حسن العفو : أى ملكت الأمر فأحسنى العفو .
(٣٨) الشجّى : من شجاه الهمّ ونحوه . والخَلِيّ : الفارغ البال من الهم .
(٣٩) يتطول : يَمْتَنّ على غيره .

لكلِّ آخِرٍ أوّلُ ، مَرْقَاةٌ إلى مَرْقاة .
قد ينمو القليل فيكثر ، ويَضْمَحِلّ الكثير فيذهب .
من طلب وجَد .
ومن أَدْمَنَ الاستفتاح فتحت له الأغلاق[٤٠].
أوْلى الأمور بالنجاح المواظبة .
قد يتبعُ الظَّفَرَ البَصَر ، ويتبعُ البصرَ التغيّر والاستثقال ، ويتبع الاستثقالَ الاستبدال ؛ ولن يدوم شيء على حال .
ولكل هَمٍّ فرج .
والعناءُ مقرون بالرجاء .
قد يُستَخْرج بالكلمة الحيّة ، وتنشأ من الحبّة الشجرة ،
وفى اللقاء شفاء الغليل ، وتنفّسُ الهموم .
ارتاد امرؤ قبل حلوله ، وتَثَبّتْ قبل إقدامه .
مع العجلة تكون الندامة ، وفى التّثبتِ تكون السلامة .
العاقل من ابتدأ عملا فى غير حينه فبلغ فى حين وقته .
لا يُنالُ بغير دواءٍ شفاء .
الصعبُ يمكن بعد مَنْع[٤١].
الرّفق سببُ القُدْرة[٤٢].
الخُرْقُ مِفْتاحُ الحِرمان[٤٣].
من أَسَرَّ أسرارَه دامت له لذّاته !
رُبّ أَكلَةٍ تمَنَعُ أكلاَت ، ولُقْيَة تَصُدُّ عن لُقْيات[٤٤].

(٤٠) أدمن الشيء : أدامه ولم يقلع عنه ، فلابد لمدمن قرع الأبواب أن يلج !
(٤١) قد يصبح الصعب سهلاً وعلينا أن نحاول .
(٤٢) قريب منه : ينال باللين والرفق مالا ينال بالشدة .
(٤٣) الخُرْق : الجهل والحمق . وقد ورد : الرفق يُمْن ، والخُرْقُ شُؤْم .
(٤٤) لعلها لقمة تصد عن لقمات ! ويضرب صدر هذه الفقرة فى ذم الحرص على الطعام . ويمكن أن تظل كما هى رب لُقْية تصدّ عن لقيات فقد يزهد الإنسان فى لقاء آخرين حين يلقاهم لأول مرة ! وقريب منه « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » .

أبياتٌ فى الغزل حسان

□ قُرّةُ عَيْنِه ! :

يُقَرّ بعينى[1] أن أرى مَنْ مكانه ... ذُرى عَقِدَاتِ الأبْرَقِ المتَقَاوِدِ[1]
وأن أرِدَ الماء الذى شَرِبَتْ به ... سُلَيْمى فقد مَلّ السُّرَى كُلَّ واخِدِ[2]
وألصِقُ أحْشَائى بَبَرْدِ تُرابِه ... وإن كان مخلوطًا بسُمِّ الأسَاوِدِ[3]

□ يا حُبَّها زدنى .. :

وقال أبو صخر الهُذَلِىّ :

أما والذى أبكى وأضْحَكَ والذى ... أمات وأحْيَا والذى أمْرُه الأمْرُ
لقد تَرَكَتْنِى أحْسُدَ الوحشَ أن أرى ... أليفين منها لا يَرُوعُهما الذُّعْرُ
فيا هجْرَ لَيْلَى قد بَلَغْتَ بىَ المدَى ... وزدتَ على ما لم يكن بَلَغَ الهَجْرُ
ويا حُبّها زِدْنى جَوًى[4] كلّ ليلةٍ ... ويا سَلْوةَ الأيامِ موعدُك الحَشْرُ
وصَلْتُكِ حتى قيلَ : لا يَعْرِفُ القِلَى[5] ... وزُرْتُكِ حتى قُلْتِ : ليس له صَبْرُ
عَجِبْتُ لِسَعْىِ الدهرِ بينى وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدّهْرُ[6]
إذا ذُكِرتْ يرتاحُ قلبى لذكرِهَا ... كما انتَفَضَ العُصْفورُ بلّلَه القَطْرُ[7]
هل الوَجْدُ إلا أن قلبىَ لو دَنَا ... من الجَمْرِ قِيدَ[8] الرّمْحِ لاحترق الجمر !

---

(١) يُقَرّ بعينى : يُقِر عينى ويسعدنى . أو هو يَقَرّ بِعَيْنِى (بفتح الياء والقاف) والعَقِدات : ما انعقد وصلب من الرمل . الواحدة : عدة . والأبرق : حجارة يخلطها رمل وطين . والمتقاود : المنقاد المستقيم .

(٢) الواخِد : السائر سيراً شديدًا . وهنا روايات كثيرة مصدرها التصحيف . فيروى – كما جاء فى الكامل – « كل واحد » ، وهو المنفرد فى سيره ، وهناك رواية تقول : « كل واجِد » وهو العاشق .

(٣) الأساود : الحيات العظيمة واحدها أسود .

(٤) الجوى : اشتداد الوجد من عشق أو حزن .

(٥) القِلَى : الكراهية والفراق .

(٦) لسعى الدهر : لتفريقه ما بيننا !

(٧) نحفظ هذا البيت فى شواهد النحو :

وإنى لتعرونى لذكراك هِزّةٌ ... كما انتفض العُصْفُورُ بلّله القطر

(٨) قِيدَ الرمح : مقداره .

□ أيا خُلّة النفس ! :

وقال آخر :

أيا خُلّةَ النفسِ التى ليس دُونها ... لنا من أخِلاّءِ الصّفاءِ خليلُ[٩]
ويامن كتَمْنَا حُبّهُ لم يُطَعْ به ... عَدُوٌ ولم يُؤْمَنْ عليه دخيلُ
أمَا مِن مُقامٍ أشتكى غُربَةَ النوَى ... وجَوْر العِدا فيه إليكِ سبيلُ ؟!
وكنتُ إذا ما جئتُ جئت بِعِلّةٍ ... فأفْنَيتُ عِلاّتى فأيْش[١٠] أقول ؟!
وما كلّ يومٍ لى بأرضيك حاجةٌ ... وما كلّ يومٍ لى إليك رسولُ

□ لَعَلَّ وعَسَى ! :

وقال المجنون :

وإنى لأستغشى[١١] وما بى نعْسَةٌ ... لعَلّ خيالاً منك يَلْقَى خياليَا
وأخْرُجُ من بين الجلوسِ[١٢] لَعَلّنى ... أُحَدّثُ عنك النفسَ فى السِّرّ خاليا

□ كيف يكون هذا منكِ ؟! :

وقال أيضاً :

فأدْنيْتِنى حتى إذا ما مَلَكْتِنى ... بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطِحَ[١٣]
تجافيتِ[١٤] عَنّى حين لا لِىَ حيلةٌ ... وخلّفْتِ ما خلّفْتِ بين الجوانِحِ

□ أشكو من أحببت ! :

ونحوه قول العباس بن الأحنف :

أشكو الذين أذاقونى مـوَدّتهم ... حتّى إذا أيقظونى فى الهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمتُ مُنْتَهضًا ... من ثِقْل ما حَمّلونى فى الهوى قَعَدُوا

---

(٩) الخُلة : الصديق يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . ويقال : خُلّة الإنسان : أهل مودته . وخُلّة الرجل : الزوجة .

(١٠) أيْش : كلمة عربية معناها : أى شىء ؟

(١١) أتغطى بالثياب على هيئة النائم ، وما بى حاجة إلى النوم .

(١٢) الجلوس : جمع جالس أى من بين من أجالسهم لأنفرد مع نفسى بالحديث عنك .

(١٣) العُصْم : جمع أعصم وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض ، وقد وصف قولها بأنه يدخل الأمن والطمأنينة إلى النفوس حتى إن العصم لتترك وعر الجبال إلى سهل البطاح لِما يبثه قولها فى النفس من طمأنينة .

(١٤) تجافيت عنى : بعدت وتركتنى أعانى ألمى .

□ لا عِطْرَ بعد عروس ! :

وقال بعض المُحْدَثين :

من كان يبكي لِمَا بى من طولِ وَجْدٍ رَسِيس[١٥]
فالآن قبلَ وفاتى « لا عِطْرَ بعد عَرُوسِ »[١٦]

□ آه من هوى ظبى ! :

وقال العباسُ بن جَرِير من وَلَدِ خالد بن عبد الله :

ظَلّتِ الأحزانُ تَكْحَلُنى مَضَضًا طالت له سِنَتِى[١٧]
مِنْ هَوَى ظَبْيٍ كأن له أَرَبًا بالصَدِّ فى تِرَتِى[١٨]
قد حَمَى عينى محاسِنَهُ وحَمَى تقبيلَه شَفَتِى
شَرِكَتْ عَيْنَاهُ ظالمةً فى دَمِى من عُظْمِ ما جَنَتِ

□ تَلَفَّتُّ نحوَ الحَيّ :

وقال ابن الطَّثَرِيّة :

وإن كنتُمُ تَرْجُونَ أن يذهبَ الهوى يَقينًا ونَرْوَى بالشَّرابِ فَنَنْقَعَا[١٩]
فرُدُّوا هبوبَ الريحِ أو غيِّروا الجَوى إذا حَلّ ألواذَ الحشا فتمنّعَا[٢٠]
تَلَفَّتُّ نحوَ الحَيّ حتى وَجدتُنِى وَجِعْتُ من الإصغاء لِيتاً وأخدعا[٢١]

□ بنفسى وأهلى :

وقال ابن ميّادة :

بِنَفْسِى وأهْلِى مَنْ إذا عَرَضوا له ببعضِ الأَذَى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ
ولم يَعْتَذِرْ عُذْرَ البرىء ولم يَزَلْ له سكتَةٌ حتى يُقَالَ : مُريبُ

---

(١٥) رسيس : ثابت .

(١٦) قال النويرى فى نهاية الأرب : أول من قاله امرأة من عذرة يقال لها : أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بنى عمها يقال له : عروس ، فمات عنها ، فتزوجها رجل آخر من قومها ، وكان أعسر أبخر ذميما بخيلا ، فلما دخل بها قال : ضمى إليك عطرك ، فقالت : لا عطر بعد عروس . فذهبت مثلاً . ويقال : إن رجلاً تزوج امرأة ، فلما أهديت إليه وجدها ثفلة ، فقال لها : أين الطيب ؟ فقالت : خبأته لك . فقال : لا مخبأ لعطر بعد عروس . يضرب مثلاً لما لا يدّخر عنه نفيس .

(١٧) يقال : مَضَّ الكحل العين : آلمها ، والسِّنة : النعاس وهو مبدأ النوم .

(١٨) التِّرة : المكروه . (١٩) ننقع : نهنأ به ونرتوى . (٢٠) ألواذ : جوانب .

(٢١) اللِّيت : صفحة العنق والأجذع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة .

□ كأنها خدٌّ على خدٌّ ! :

وقال علىُّ بنُ الجَهْم فى رُقعةٍ أتته بخط جارية :

ما رُقْعةٌ جاءتك مَثْنيّةً ... كأنها خدٌّ على خدّ
نَبْذُ سَوادٍ فى بياضٍ كما ... ذُرَّ فتيتُ المسْكِ فى الوَرْدِ[٢٢]
ساهمةُ الأسْطُرِ مصروفةٌ ... عن مُلَحِ الهزلِ إلى الجِدّ
يا كاتبًا أسْلَمَنِى عَتْبُهُ ... إليه حَسْبى مِنْك ما عِنْدِى

□ أوَانِسُ ! :

وقال جرير :

أتجْمَعُ قلبًا بالعراقِ فريقُهُ ... ومِنه بأظْلالِ[٢٣] الأراكِ فريقُ
أوانِسُ أمَّا مَنْ أرِدْن عَنَاءَهُ ... فعانٍ ومن أطْلَقْن فهو طليقُ
دعونَ الهَوَى ثم ارتمين قُلوبَنا ... بأسْهُمِ أعداءٍ وهُنَّ صديقُ[٢٤]

□ مِمّ يعجبان ؟! :

وقال آخر :

إلْفان تعنيهما للبَيْن فُرْقَتُه ... ولا يملّان طولَ الدّهْرِ ما اجتمعا[٢٥]
مُسْتَقبلان نشاصًا مِن شبابهما ... إذا دعا دعوةً داعى الهوى سَمِعَا[٢٦]
لا يُعْجَبَان بقولِ الناسِ عن عُرُضٍ ... ويُعْجَبَانِ بما قالا وما سَمِعَا[٢٧]

(٢٢) النبذ : الشىء القليل اليسير .

(٢٣) يريد بأظلال الأراك : البادية التى تنبت الأراك . والأراك : شجر يتخذ منه السواك .

(٢٤) يقول : إنهن قد دعون هوانا واستملنه ، فمالت إليهن قلوبنا ثم أصبنا بأسهمهن فيها عدوان مع أنهن صديقات !

(٢٥) القائل : عُروة بن أُذينة : تعنيهما : تهمهما . والبين هنا الوصل . وما مصدرية – والمعنى : أنهما صاحبان متحدان بالمودة تهمهما للوصل والاجتماع فرقته . ومدة اجتماعهما لا يمل أحدهما صاحبه طول الدهر ويروى : « تفنيهما » وهو واضح .

(٢٦) نشاصًا : أصله السحاب إذا ارتفع من قبل العين حين ينشأ ويعلو . والمراد : الاستواء فى السن والشباب . يقول العرب : رأيت نشاص جوار إذا كن أترابًا ، ونشاص خيل وإبل إذا كانت مستوية .

والمعنى : وهما مستقبلان شباباً مستوياً لأنهما على سن واحدة . أى هما فى ريعان شبابهما مصغيان إلى داعى الهوى فإذا دعاهما إليه أجابا .

(٢٧) يقال : كلمته عن عُرُض : أى ناحية . والمعنى أنهما لا يعجبهما من مقال الناس وفعالهم شىء بل الإعجاب يتعلق بما يؤثرانه ويصنعانه .

□ كَفٌّ ومِعْصَمٌ :

وقال أعرابى :

وقُلْنَ لها سِرًّا وقَيْنَاكِ لا يَقُـمْ ... صَحِيحًا فإن لم تَقْتُلِيه فأَلْمِمِى
فأذْرَت قِناعًا دونه الشمسُ واتّقَتْ ... بأحْسَنِ مَوْصُولين : كَفٌّ ومِعْصَم[٢٨]
فراحَ وما أدرى أفى طَلْعةِ الضُّحَى ... يُرَوّحُ أم داجٍ من الليل مُظْلِمِ

□ يا أَحْسَنَ الناسِ ! :

وقال آخر :

يا أَحْسَنَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قَدَمِ ... لَمْ أَلْقَ مِثْلَكِ فى حِلٍّ ولا حَرَمِ[٢٩]
يا من تَلَبّسَ حُسْنُ الغانيات به ... قد خُطّ قبلك فيما خُطّ بالقَلَمِ

□ بكاء وإشفاق ! :

● وقال ذو الرُّمة :

وقد كنتُ أبكى والنوى مُطْمِئَنّةٌ ... بنا وبكم من علم ما البَيْن صانعُ
وأُشْفِقُ من هِجرانِكُم ويَشُقُّنِى ... مخافةَ وشْكِ البَيْن والشّمْلُ جَامِعُ
وأهجركُم هَجْرَ البَغيضِ وحُبُّكمْ ... على كَبِدى منه شُئُونٌ صوادِعُ

□ حُبّ مىّ .. :

وقال أيضاً :

وقد كنت أُخْفِى حُبَّ مَىّ وذكرُها ... رسيسُ الهوى حتى كَأَن لا أريدُها[٣٠]
فما زال يغلو حُبُّ مَيّةَ عندنا ... ويزدادُ حتى لم نجد ما يزيدُها

□ طىّ النفس ! :

وقال :

ومازلتُ أطوى النفسَ حَتّى كأنها ... بذى الرِّمث لم تَخطُر على بالِ ذاكرِ[٣١]
حياءً وإشفاقًا من الركب أن يَرَوْا ... دليلاً على مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمائِرِ

---

(٢٨) فأذرت : فألقت .

(٢٩) القَرْن : من رأس الإنسان جانبه ، وموضع القرن منه .

(٣٠) رسيسُ الهوى : بقيته وأثره . أو هوانا الثابت .

(٣١) ذات الرِّمث (بكسر الراء المشددة) واد لبنى أسد .

□ يا حادىَ المَطِىّ روّح قليلاً ! :

وقال آخر :

قُلْ لحادى المَطِىّ : رَوِّحْ قليلاً ... نجعلِ العِيسَ سَيْرَهنّ ذميلاَ[٣٢]
لا تَقِفْها على السبيلِ ودَغْها ... يهدِها شوقُ مَنْ عَلَيْها السَّبِيلاَ

□ أين يقيم قلبه المحزون بعد موته ؟ :

● وقال آخر :

فإن يرتَحِلْ صَحْبِى بِجُثْمَانِ أعظُمِى ... يُقِمْ قَلْبِىَ المحزونُ فى مَنْزِلِ الرَّكْبِ

● ونحوه :

حَسَدٌ مُقيـــمٌ فى الدَيـــا ... رِ ورُوحُه فِـى الظّاعـنين[٣٣]

□ يوم اللقاء وأيام الهجر ! :

وقال آخر :

لعَمْرُ أبى المِخْضِيرِ أيامَ نَلْتَقِى ... بما لا نُلاقيها من الدهرِ أكْثَرُ
يَعُدُّون يومًا واحدًا إن أتيتُهـا ... ويَنْسَوْن ما كانت من الدهر تُهْجُر[٣٤]!

□ رَقُودُ الضُّحَى ! :

وقال حُمَيدُ ثور :

وقُلْنَ لها : قُومِى فَدَيْنَاكِ فارْكَبِى ... فأَوْمَتْ بِلاَ لاَ غير ما أَن تَكَلَّمَا[٣٥]
يُهادِينَهـا حتـى لَـوَت بزمامــه ... بَنَانًا كَهُدّابِ الدِّمَقْسِ ومِعْصَمَا
من البِيضِ عاشت بين أُمٍّ عزيزةٍ ... وبين أَبٍ بَـرٍّ أطـاع وأكرَمَـا
مُنَعَّمَةٌ لو يُصْبِحُ الـذَّرُّ ساريًـا ... على جِلْدِها نَضَتْ مَدارجُه دَمَا[٣٦]
فما ركبت حتى تطاولَ يومُها وكا ... نت لها الأيدى إلى الحُدْبِ سُلَّمَا[٣٧]
فَجَرْجَرَ لما كان فى الخِدْرِ نِصْفُها ... ونصفٌ على دأياته ما تَحَرَّمَا[٣٨]

(٣٢) رَوِّحَ قليلاً : أرِحْها . والذَميل من السير : السريع .
(٣٣) الظاعنين : المرتحلين المسافرين .
(٣٤) أيام السعادة : معدودة .
(٣٥) فأومت : فأشارت . بلا .. بلا : بالنفى . ولا الثانية تأكيد للأولى .
(٣٦) نضت : سالت . (٣٧) الحُدب : جمع أحدب وحدباء وهو ما عظم ظهره من الإبل .
(٣٨) جَرْجَر : ردد صوته فى حلقه . والدَأيات : أضلاع الكتف .

وما كادَ لما أن عَلَتْه يُقِلّهـا ... بنهضته حتى اطمأنّ وأغْصَمَا[٣٩]
وحتى تداعَتْ بالنقيض حِبَالُـه ... وهَمّتْ بَوانِى زَوْرِه أن تَحطَّما[٤٠]
وأثَّـر فى صُمِّ الصَّفَـا نَفَثَاتُـه ... ورَمّتْ سُلَيمْى أمْرَه ثم صَمَّمَا[٤١]
فسَبّحْنَ واستَهْلَلْنَّ لَمَّا رأَيْنَـه ... بها رَبذًا أسَهْلَ الأراجيح مِرْجَمَا[٤٢]
من البِيضِ مِكْسَالٌ إذا ما تَلَبّسَتْ ... بِحَبْلِ امرىءٍ لم يَنْجُ منها مُسَلّمَا[٤٣]
رَقُودُ الضُّحَى لا تَقْرَبُ الجيرةَ القُصَى ... ولا الجيرة الأدْنَيْن إلا تَجَشُّمَا
وليست من اللائى يكون حديثُها ... أمامَ بيـوتِ الحَـىّ إنّ وإنّمـا

□ يكاد حَبابُ الماءِ يَخْدِشُ جلدها ! :

وقال قيس بن ذَريح :

تَعَلّق رُوحى رُوحَها قبل خَلْقِنَا ... ومن بَعْدِ ما كُنّا نِطافًا وفى المهد[٤٤]
فـزاد كما زدنـا فأصبـح نامِيًـا ... فليسَ وإن مِتْنا بمُنْفَصِم العهد
ولكنه باقٍ على كـلِّ حـادثٍ ... وزائرنا فى ظلمةِ القبر واللّحْدِ
يكادُ حَبَابُ الماء يَخْدِشُ جِلْدَها ... إذا اغتسلت بالماء من رِقةِ الجلْدِ
ولو لبست ثوبًا من الورد خالصًا ... لخَدّشَ منها جِلدَها ورقُّ الوَرْدِ
يُثَقّلهـا لُـبْسُ الحريـر للـينها ... وتشكو إلى جاراتِها ثِقَلَ العِقْد
وأرحم خَدّيْها إذا ما لَحَظْتُها ... حِذَارًا لِلَحْظِى أن يُؤَثّر فى الخدّ[٤٥]!

تم كتاب النسـاء ، وهو الكتاب العاشر من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمةُ الله عليه ، وتم بتمامه كتابُ عيون الأخبار ، وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ ، فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على خير خلقه ومُظْهِرِ حقه محمد وآله أجمعين .

---

(٣٩) اطمأن : سكن . أعصم : تشدد واستمسك .

(٤٠) النقيض : صوت المحامل ، البَوانى : أضلاع الصدر . وقيل : الأكتاف والقوائم الواحدة بانية .

(٤١) صَمّم : مضى معتزمًا السير .

(٤٢) الرَّبذ : الخفيف المشى . وأراجيح الإبل : اهتزازاتها فى مشيتها . والمِرجم : البعير يرجم الإبل بأخفافه .

(٤٣) تلبست : تعلقت . (٤٤) نِطَافًا : جمع نُطفة . (٤٥) فيالرقتها !